مصادر دراسة تاريخ العراق القديم

تنوعت المصادر القديمة التي نقلت لنا كل ما يخص تاريخ العراق القديم ، إذ أنها شكلت رافداً مهماً في دراسة تراث العراق القديم لأنها بينت لنا حضارة وادي الرافدين وما يدور حولها من جوانب سواء السياسية منها أم الأقتصادية أم الأجتماعية فضلاً عن الجوانب العمرانية التي تميز بها العراق القديم دون غيره من حضارات العالم القديم . ويمكن أن نجملها كما في أدناه :

التوراة :

لا شك أن التوراة واحدة من أهم المصادر التي نقلت لنا تاريخ العراق القديم وهي في مقدمة مصادرنا عن العراق القديم قبل أن يهتدي الإنسان الحديث في الكشف عن آثاره عن طريق التنقيبات الأثرية ، فقد حوت أسفارها طائفة من الأخبار عن بلاد ما بين النهرين وتأريخها، بنتيجة التأثيرات الحضارية التي خلفتها حضارة وادي الرافدين في العبرانيين الذين اقتبسوا منها أشياء كثيرة في حقل الأساطير والقصص والمعارف فضمنوها في توراتهم منذ بدء الخليفة. وإلى هذه التأثير الحضارية نشأت بين العبرانيين وسكان وادي الرافدين القدماء صلات مباشرة، اتسم معظمها بالعداء والبعض من جراء الضربات الشديدة التي وجهها الملوك الآشوريون على العبرانيين، ولا سيما في عهد الامبراطورية الآشورية الأخيرة، مما جعل مدوني أسفار التوراة يفردون فصولاً مطولة عن تلك العلاقات وكذلك يقال في علاقات اليهود بالإمبراطورية البابلية الكلدانية، ولا سيما الملك "نبوخذ نصر" الثاني المشهور (٥٦٢ – ٦٠٥ ق.م) الذي أزال الدولة اليهودية من الوجود ودمر أورشليم، وكان صاحب السبي المشهور (٥٩٦ و ٥٨٦ ق.م)، وما استتبع ذلك السبي من بقاء اليهود في بلاد باب ردحاً من الزمن فازدادت تأثيرات حضارة وادي الرافدين فيهم، بحيث إن أسفار التوراة التي جاءت إلينا في شكلها الأخير إنما تم تدوينها في بلاد بابل (ما بين القرنين السادس والخامس ق.م) ودون التلمود اليهودي المعروف بالتلمود البابلي في بلاد بابل (القرن السادس الميلادي).

المصادر القديمة :

أما الأخبار الواردة في المصادر القديمة أو ما تعرف بالكلاسيكية فتأتي في مقدمتها اخبار "هيرودوتس" (في حدود ٤٢٥ – ٤٨٠ ق.م) الملقب بأبي التأريخ. وكان أول من استعمل مصطلح "هستوريا" (Historia) للتأريخ وأصل كلمة تأريخ في معظم اللغات الأوروبية. ومن ناحية موضوعنا كان تأريخ هيرودوتس أقدم الكتب التأريخية، على أن الإفادة من أخباره عن أحوال العراق القديم لا تتم إلا من بعد نقدها، ويدخل في ذلك التعرف على شخصيته وطريقة روايته للأخبار والحوادث، فهو مولع بسرد القصص والحكايات والأساطير خالطاً إياها في كثير من الأخبار التأريخية بدون أن ينبه على الحد الفاصل ما بين الأثنين. كما توجد شكوك في ان هيرودوتس قد زار في الواقع بلاد بابل، بل إن الأخبار التي ذكرها عنها استقاها بالدرجة الأولى منها ، فقد ورد فيها اضطراب في الوصف مثل تسميته بلاد بابل آشور، مع أن المصطلحين كانا معروفين لدى اليونان. كما وردت مبالغات في وصف مدينة "بابل" في قياس أسوارها وبعض أبنيتها. ومع كل هذه الهنات يجد القارئ لأخبار هيرودوتس عن العراق القديم طرائف ممتعة، في وصف بعض مدنه وأنهاره، ولا سيما مدينة "بابل" في العهد الفارسي الأخميني (٣٣١ – ٥٣٩ ق.م) حيث كانت معابدها وبرجها الشهير وقصورها لا تزال قائمة.

ومن المؤرخين اليونان مالشهورين نذكر " بوليبيوس" (Polybius) (202 – 120 ق.م) والذي كان أول من استعمل مصطلح "ميزوبوتامية" (ما بين النهرين) لإطلاقه على الجزء الأوسط والشمالي من أرض الرافدين.

ومن الكتاب الكلاسيكيين الذي يجدر ذكرهم الجغرافي الشهير "سترابو" أو " سترابون" (Strabo . Strabon) (في حدود ٦٤ق.م – ١٩م) الذي اشتهر بمؤلفه عن جغرافية العالم الموسوم (Georaphica) ، وقد جاء بسبعة عشر جزءاً، وصف فيها الأقاليم المعروفة آنذاك، ومنها بلاد بابل وآشور (٣).

وجاء في جغرافية "سترابو" أشياء مفيدة عن بلاد العرب ومصر وبلاد بابل ولا سيما مدينة بابل التي ذكر عنها أنها كانت مدينة مهجورة تقريباً (الجزء السادس عشر من جغرافيته، الفقرة الخامسة)(٤)، ولكن مع ذلك يصف أحوالها الماضية، وأسوارها المشهورة وجنائنها المعلقة .

ونذكر أيضاً المؤرخ الشهير "ديودورس" الصقلي (Diodorus Sicouly) (40)ق.م ـــــ ؟) الذي ألف كتابه في تأريخ العالم وعنونه باليونانية (Bibliotheke Historike)، وقد جاء في الجزء الثاني منه وصف بلاد بابل ومعبد الإله "مردوخ" (بيل)، ووصف الجنائن المعلقة وأن الملكة "سميراميس" هي التي شيدتها. ودون

المؤرخ الروماني المسمى "كورتيوس روفس" (Curtius Rufus) (القرن الأول الميلادي) تأريخ الإسكندر، تطرق فيه إلى وصف بلاد بابل ومنها مدينة بابل ووصف جنائنها المعلقة وسمّاها بالمصطلح اللاتيني (Pensiles Horti).

واشتهر الكاتب الروماني "بليني الأكبر"(23) (Pliny أو ٧٩-٢٤م) بمؤلفاته التأريخية والجغرافية، أشهرها كتابه المعنون " التأريخ الطبيعي" وباللاتينية (Naturalis Historia)، الذي وصف فيه جغرافية القارات المعروفة في زمنه وعادات أهلها ومواردها، وذكر أشياء مهمة عن العراق ولا سيما أنهاره وعين منابع النهرين بصورة مضبوطة كما ذكر أحوال الري والملاحة، وان دجلة والفرات كانا يصبان كلاً على انفراد في البحر وأن المسافة ما بين مصبيهما نحو (٢٥) ميلاً، ووصف كذلك بعض المدن القديمة التي بقيت في زمنه مثل "سلوقية" (تل عمر الآن مقابل طاق كسرى على دجلة) ومدينة "أرتميتا" والوركاء (أورخوى (Orchoi)) ، وطيفسون وغيرها.

وجاءت في كتاب المؤرخ اليهودي "جوزيفس" (Flavius Joesphus) (37 – 100م) عن تأريخ اليهود والحرب الرومانية ـــــ اليهودية نتف عن أخبار بلاد بابل ولا سيما وصف جنائنها المعلقة التي سمّاها (Pensile Paradise).

ومن الكتاب الرومان الذين يجدر التنويه بهم الكاتب المسمى "أريان" (Arrian) (95-175م) الذي اشتهر بمؤلفه عن حروب الإسكندر الكبير في كتابه المعنون "حملة الإسكندر" (Anabasis of Alexander) وجاءت فيه طائفة من الأخبار عن بلاد بابل وبلاد الهند والاستكشافات البحرية التي قام بها قائد الإسكندر "نيرخش" (Nearchus) في الخليج العربي والبحر الهندي؛

وننوه أيضاً بالكاتب الروماني "كلوديوس اليانوس" (Claudius Aelianus) من اهل القرن الثاني الميلادي الذي روى في جملة ما روى قصة طريفة عن البطل الشهيد "جلجامش" وسمّاه "كل كاموس" (٧).

أخبار الرحالة والسياح:

قبل أن نبدأ التحريات والتنقيبات الفعلية عن بقايا حضارة وادي الرافدين منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ الغرب يتعرف على أحوال العراق وبلدان الشرق الادنى بوجه عام وعلى بقايا الأثرية فيها عن طريق أخبار الرحالة الأوروبيين الذين شرعوا يؤمنون الشرق منذ القرن الثاني عشر الميلادي؛ ويمكن تحديد بداية هذه الرحلات في زيارة السائح اليهودي "بنيامين التطيلي" (١١٦٠م)، كما يمكن إنهاء طور الرحلات ببداية أولى

تحريات آثارية على أيدي الهواة وقناصل الدول الأجنبية من أمثال "بوتا" و "ليرد" و "رولنصن" منذ عام ٣/١٨٤٢ وبالنسبة إلى الموضوع الذي بين أيدينا لا يخفى ما لأثر مثل أولئك الرحالة والسياح في جعل العالم المتمدن يطلع على بقايا حضارات الشرق القديم وأثاره، وإثارة الرغبة في القوم لمعرفة ماضي هذا الشرق، لا سيما وأن كثيراً من مدنه القديمة ذات صلة وثيقة بأخبار التوراة وبتأريخ الديانتين العبرانية والمسيحية، بالإضافة إلى الأطماع السياسية والاقتصادية. وسنى مما سنوجزه ن أخبار أولئك السياح كيف أن بعضهم تقل إلى أوروبا نماذج من آثار العراق، من بينها تلك الكتابة الغريبة التي سميت بعدئذ بالكتابة المسمارية؛ كل هذا وغيره مهد السبيل للشروع بالتنقيبات الفعلية وحل رموز الخط المسماري في منتصف القرن الماضي.